بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الخامس

فى تاريخ النحو والصرف والاشتقاق

(وفيه فصلان)

الفصل الاول

فى تعريف النحو والصرف والاشتقاق

« النحو » كان يطلق على ما يعم الصرف فكان يبحث فيه عن ابنية الكلم واحوالها مفردة ومركبة وكتب السلف ناطقة بذلك قال ابن جنى فى الخصائص : هو انتحاء سمت كلام العرب فى تصرفه من اعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والاضافة وغير ذلك ليلحق من ليس من اهل اللغة العربية باهلها فى الفصاحة فينطق بها وان لم يكن منهم وان شذ بعضهم عنها رد اليها وهو فى الاصل مصدر شائع اى نحوت نحواً كقولك قصدت قصداً ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم اه . وقيل النحو علم بأقيسة تعير ذوات الكلم واواخرها بالنسبة الى لغة العرب . ثم عُني العلماء بالصرف وافردوه بالتصنيف لتشعب مسائله وخصصوه بعلم ابنية

الكلم واحوالها مفردة فالابنية كبناء اسم الفاعل من الثلاثى على فاعل واسم المفعول على مفعول واسم التفضيل على افعل واسم المكان واسم الزمان على مفعَل او مفعِل والاحوال كالاعلال والادغام والحذف والابدال . وفى الارتشاف لابى حيان : التصريف ينقسم الى قسمين احدهما جعل الكلمة على صيغ مختلفة لضروب من المعانى والآخر تغيير الكلمة لغير معنى طارىء عليها وينحصر فى الزيادة والحذف والابدال والقلب والنقل والادغام اه . وكذا أفردوا النحو بالتأليف واطلقوه على علم احوال الكلم وهى مركبة خاصة كرفع الفاعل ونصب المفعول وجر المضاف اليه وتقديم المبتدا على الخبر فى حال وتأخيره فى حال وحذف احدهما عند الاقتضاء . والاشتقاق اخذ كلمة من اخرى بشرط مناسبتهما معنى وتركيباً ومغايرتهما فى الصيغة أو هو ان تجد بين اللفظين تناسباً فى المعنى والتركيب فترد احدهما الى الآخر والاول باعتبار العمل والثانى باعتبار العلم والاشتقاق يكون صغيراً ان كان بين اللفظين تناسب فى الحروف الاصلية وترتيبها نحو جذب من الجذب وكبيراً ان كان بينهما تناسب فى الحروف دون الترتيب نحو جذب من الجبذ واكبر ان كان بينهما تناسب فى نوع بعض الحروف وفى مخارج البعض الآخر كنعق من النهق وثلب من الثلم واذا اطلق الاشتقاق انصرف للصغير . وقال فى كشف الظنون : الاشتقاق علم باحث عن كيفية خروج الكلم بعضها عن بعض بسبب مناسبة بين المخرج والخارج بالاصالة والفرعية باعتبار جوهرها والقيد الاخير يخرج الصرف اذ يبحث فيه ايضاً عن الاصالة والفرعية بين الكلم لكن لا بحسب الجوهرية بل بحسب الهيئة مثلاً يبحث فى الاشتقاق

عن مناسبة نهق ونعق بحسب المادة وفى الصرف عن مناسبته بحسب الهيئة فامتاز احدهما عن الآخر واندفع توهم الاتحاد وموضوعه المفردات من الحيثية المذكورة ومبادئه كثيرة منها قواعد مخارج الحروف ومسائله القواعد التى يعرف منها ان الاصالة والفرعية بين المفردات باى طريق يكون وباى وجه يعلم ودلائله مستنبطة من قواعد علم المخارج وتتبع مفردات الفاظ العرب واستعمالاتها والغرض منه تحصيل ملكة يعرف بها الانتساب على وجه الصواب وغايته الاحتراز عن الخلل فى الانتساب واعلم ان مدلول الجواهر بخصوصها يعرف من اللغة وانتساب البعض الى البعض على وجه كلي ان كان فى الجوهر فالاشتقاق وان كان فى الهيئة فالصرف فظهر الفرق بين العلوم الثلاثة وان الاشتقاق واسطة بينهما ولهذا استحسنوا تقديمه على الصرف وتأخيره عن اللغة فى التعليم ثم انه كثيراً ما يذكر فى كتب التصريف وقلما يدون مفرداً عنه اما لقلة قواعده او لاشتراكها فى المبادئ حتى ان هذا من جملة البواعث على اتحادهما والاتحاد فى التدوين لا يستلزم الاتحاد فى نفس الامر قال صاحب الفوائد الخاقانية اعلم ان الاشتقاق يؤخذ تارة باعتبار العلم وتارة باعتبار العمل وتحقيقه ان الضارب مثلاً يوافق الضرب فى الحروف الاصول والمعنى بناءً على ان الواضع عين بازاء المعنى حروفاً وفرّع منها الفاظاً كثيرة بازاء المعانى المتفرعة على ما تقتضيه رعاية التناسب فالاشتقاق هو هذا التفريع والاخذ فتحديده بحسب العلم بهذا التفريع الصادر عن الوضع هو ان تجد بين اللفظين تناسباً فى المعنى والتركيب فتعرف رد احدهما الى الآخر واخذه منه وان اعتبرناه من حيث احتياج احد الى عمله عرفناه باعتبار العمل فنقول هو ان تأخذ من اصل

فرعاً يوافقه فى الحروف الاصول ويجعله دالاً على معنى يوافق معناه اه .
والحق ان اعتبار العمل زائد غير محتاج اليه وانما المطلوب العلم باشتقاق
الموضوعات اذ الوضع قد حصل وانقضى على ان المشتقات مرويات عن
اهل اللسان ولعل ذلك الاعتبار لتوجيه التعريف المنقول عن بعض
المحققين ثم ان المعتبر فيهما الموافقة فى الحروف الاصلية ولو تقديراً اذ
الحروف الزائدة فى الاستفعال والافتعال لاتمنع وفى المعنى ايضاً اما بزيادة
او نقصان فلو اتحدا فى الاصول وترتيبها كضرب من الضرب فالاشتقاق
صغير ولو توافقا فى الحروف دون الترتيب كجبذ من الجذب فهو كبير ولو
توافقا فى اكثر الحروف مع التناسب فى الباقي كنعق من النهق فهو اكبر
اه . وفى الارتشاف الاشتقاق اكبر واصغر فالاكبر هو عقد تقاليب
الكلمة كيفما قلبتها على معنى واحد نحو القول والقلو والولق والوقل
واللقو واللوق على معنى الخفة والسرعة والكلم والكمل واللكم واللماك
والمكل والملك على معنى الشدة والقوة ولم يقل بهذا الاشتقاق الا ابو الفتح
والاشتقاق الاصغر انشاء مركب من مادة يدل عليها وعلى معناها
كاحمر من الحمرة وهذا الاشتقاق اثبته الجمهور فى ان بعض الكلم قد يشتق
من بعض ولا بد من اتحاد فى الحروف الاصلية على ترتيب واحد وفى
المعنى ويدل على ان اللفظ فرع دلالته على معنى زائد على ما اشتق منه نحو
ضارب وضرب والاصل فى الاشتقاق ان يكون من المصادر واصدق ما
يكون فى الافعال المزيدة والصفات منها واسماء المصادر والزمان والمكان
ويغلب فى العلم ويقل فى اسماء الاجناس كغراب يمكن ان يشتق من
الاغتراب وجرادة من الجرد اه (وكان للاشتقاق باقسامه الثلاثة اهمية

كبرى) فى قياس اللغة واستنباطها وعلى ذلك كان مدار السلف فى تدوينها قال ابن فارس فى فقه اللغة : اجمع اهل اللغة الا من شذ منهم ان للغة العرب قياساً وان العرب تشتق بعض الكلم من بعض وان اسم الجن مشتق من الاجتنان وان الجيم والنون تدلان ابداً على الستر تقول العرب للدرع جنة واجنه الليل وهذا جنين اى هو فى بطن امه وان الانس من الظهور يقولون آنست الشيء ابصرته وعلى هذا سائر كلام العرب اه . وسأل عمرو ابن العلاء اعرابياً عن اشتقاق الخيل فقال الاعرابى استفاد الاسم من فعل السير يريد ان في مشيها خيلاء فاخذ اسمها من ذلك وكان الزجاج يقول الرحل مشتق من الرحيل والثور انما سمى ثوراً لانه يثير الارض والثوب انما سمى ثوباً لانه ثاب لباساً بعد ان كان غزلاً .

الفصل الثانى

فى تاريخ النحو بالمعنى العام

كان العرب يتكلمون كلاماً معرباً بالسليقة والطبع قال اعرابى :

ولست بنحوى يلوك لسانه ولكن سليقى اقول فاعرب

فلما جاء الاسلام وقضى باختلاطهم مع الاعاجم تولد فى لسانهم اللحن واول ما ظهر فى كلام الموالى والمتعربين من عهد النبي عليه الصلاة والسلام فخوفاً من فساد اللغة وضع الامام على رابع الخلفاء الراشدين اصولاً لذلك اعطاها لابى الاسود الدؤلى وامره بان ينحو منحاها فصار يتبع ما رسمه له

الامام ويزيد فى هذه الاصول ويعرض عليه كل ما عنّ له فى هذا الشأن فكان ذلك مبدأ علم النحو وصار الامام يرغب فى تعلم هذا العلم . فمما يروى عنه انه قال :

النحو يصلح من لسان الألكن ... والمرء تكرمه اذا لم يلحن
واذا اردت من العلوم اجلها ... فاجلها عندى مقيم الالسن
لحن الشريف يحطه عن قدره ... فتراه يسقط من لحاظ الاعين
ماورّث الآباء فيما ورّثوا ... ابناءهم مثل العلوم فأتقن

وعلى ما تقدم يظهر ان ذوى العرفان من العرب قبل وضع النحو كانوا يعرفون علم لسانهم بالتلقى والوراثة عن اسلافهم بدون تدوين فى كتاب ولا معرفة للالفاظ الاصطلاحية الحديثة يرشد الى ذلك حكاية الخنساء وحسان فى سوق عكاظ وقد مرت فى الشعر وحكاية النابغة وقينة المدينة السالفة عند الكلام على القافية وما روى عن عمر ثانى الخلفاء انه قال تعلموا العربية فانها تزيد فى العقل والمروءة — ويقال ان السبب فى وضع باب التعجب والاستفهام ان ابا الاسود كان مع ابنته على سطح بيته فرأت السماء ونجومها الزواهر وحسن نظامها البديع الباهر فقالت يا ابت ما احسنُ السماء بضم النون فقال نجومها ظنًّا انها تسأله عن اي شيء احسن مما نظرته فيها فقالت يا أبت انما اردت التعجب من حسنها وبهجتها فقال اذن قولى ما احسنَ السماءَ وافتحى فاك وقيل انه دخل على ابنة له بالبصرة فقالت له يا ابت ما اشد الحر متعجبة ورفعت اشد فظنها مستفهمة فقال شهر ناجر فقالت انما اخبرتك ولم اسألك وان السبب فى وضع باب العطف والنعت انه سمع رجلاً يقرأ ان الله برىء من المشركين ورسوله بالجر وتقدّم فى

الكلام على الخط ان هذا ايضاً كان سبباً فى وضع علامات الاعراب ولما وضع باب ان واخواتها وعرضه على الامام امره بزيادة (لكنّ) وروى عاصم قال جاء ابو الاسود الى زياد وهوامير البصرة فقال انى ارى العرب قد خالطت هذه الاعاجم وفسدت السنتها أفتأذن لى ان اضع للعرب ما يعرفون به كلامهم فقال له زياد لا تفعل قال فجاء رجل الى زياد فقال اصلح الله الامير توفى ابانا وترك بنونا فدعا زياد ابا الاسود وامره بان يضع ما كان نهاه عنه اه . وكان ابو الاسود يجلس لتعليم النحو والناس يختلفون اليه للاخذ منه وكان يزيد فيما وضعه وكان اعلم الناس بكلام العرب .

يحكى ان غلاماً كان يتعلم منه النحو فقال له يوماً ما فعل ابوك قال اخذته حمى فضختة فضخا وطبخته طبخا وفتخته فتخا فتركته فرخا قال فما فعلت امرأة ابيك التى كانت تشاره وتجاره وتضاره وتزاره وتهاره وتماره قال طلقها وتزوج غيرها فخطيت عنده ورضيت وبطيت قال وما بطيت يا ابن اخي قال حرف من العربية لم يبلغك قال لا خير لك فيما لم يبلغنى منها ومات ابو الاسود فى خلافة عبدالله بن الزبير (سنة ٦٧) . وكان اخذ عنه النحو الناس نقلوه الى آخرين وهؤلاء الى غيرهم وزادوا فى الاصول وفرعوا وخالطوا عرب البوادى واستنبطوا علوم لغتهم من كلامهم فان لغات الحضر كان عرض لها الاختلال وانقسم القوم فى بعض المسائل الى بصريين وهم اهل البصرة وكوفيين وهم سكان الكوفة مدينتان مشهورتان بالعراق العربى تسميان المصرين فاتسع الادب فى هاتين المدينتين اتساعاً عظيماً وتدونت فيه كتب كثيرة وعنهما انتشر بين اهل العراق والاندلس والمغرب ومصر وغيرهم .

نحاة البصرة

(فمن نحاة البصرة عنبسة بن معدان) ويقال له عنبسة الفيل روى الشعر وتعلم النحو من ابى الاسود وكان ابرع اصحابه

(ومنهم ميمون الاقرن) أخذ عن ابى الاسود وعن عنبسة فرأس الناس وزاد فى الشرح

(ومنهم عبد الله بن ابى اسحق الحضرمى) اخذ عن ميمون وكان اعلم اهل البصرة وهو اول من علل النحو وقاسه وكان يردّ كثيراً على الفرزدق ويكلمه فى شعره فقال فيه الفرزدق :

فلو كان عبدالله مولى هجوته ولكن عبدالله مولى مواليا

فقال له ابن ابى اسحق ولقد لحنت ايضاً فى قولك مولى مواليا وكان ينبغى ان تقول مولى موال وتوفى بالبصرة سنة ١١٧ فى خلافة هشام ابن عبد الملك

(ومنهم ابو عمرو بن العلاء المازنى) كان فى عصر بن ابى اسحق وكان اعلم الناس بالعربية والشعر ومذاهب العرب روى انه سئل عن قوله تعالى فعززنا بثالث فقال المعنى شددنا وانشد :

أجُدّ اذا ضمّرت تعزّز لحمها واذا يشد بنسعها لا تنبس[1]

ويروى عنه قال كنت هارباً من الحجاج بن يوسف وكان يشتبه علىّ لفظ (فرجة) هل هو بالفتح او بالضم فسمعت قائلاً يقول :

ربما تجزع النفوس من الامـ ـر له فَرْجة كحلّ العقال

---

(١) اجد اى ناقة قوية وتعزز اشتد ولا تنبس لا تصوت

بفتح الفاء من فرجة ثم قال الا انه قد مات الحجاج قال ابو عمرو فما ادرى بايهما كنت اشد فرحاً بقوله (فرجة) او بقوله (مات الحجاج) وتوفى ابو عمرو سنة ١٥٤ فى خلافة المنصور

(ومنهم عيسى بن عمر الثقفى) اخذ عن ابى عمرو وكان عالماً متفيقهاً يتقعر فى الكلام ويستعمل غريب الالفاظ الف كتابين فى النحو احدهما مبسوط سماه الجامع والآخر مختصر سماه المكمل وفيهما يقول الخليل :

بطل النحو الذى الفتموه غيرماالف عيسى بن عمر
ذاك اكمال وهذا جامع فهما للناس شمس وقمر

وتوفى سنة ١٤٩ فى خلافة المنصور

(ومنهم يونس بن حبيب الضبى) اخذ عن ابى عمرو وسمع من العرب وكان من اكابر النحويين له مذاهب واقيسة تفرد بها وكان يقصد حلقاته بالبصرة طلبة العربية وفصحاء الاعراب والبادية وتوفى سنة ١٨٣ فى خلافة الرشيد .

(ومنهم ابو خطاب الاخفش) اخذ عن ابى عمرو ايضاً وهو اول من فسر الشعر تحت كل بيت وما كان الناس يعرفون ذلك قبله وانما كانوا اذا فرغوا من القصيدة فسروها

(ومنهم الامام الخليل بن احمد) اخذ عن ابى عمرو وعيسى بن عمر ولم يكن قبله ولا بعده مثله وكان اعلم الناس واذكاهم وافضلهم قالوا لم يكن للعرب بعد الصحابة اذكى من الخليل ولا اجمع ولا كان فى العجم اذكى من ابن المقفع ولا اجمع قال ابو عمرو التوجى اجتمعنا بمكة ادباء كل افق فتذاكرنا امر العلماء حتى جرى ذكر الخليل فلم يبق احد الا قال الخليل

اذكى العرب وهو مفتاح العلوم وابدع الخليل بدائع لم يسبق اليها كتأليفه اللغة فى كتاب العين واختراعه العروض توفى سنة ١٦٠

(ومنهم ثلاثة) كانوا فى عصر واحد وكانوا ائمة الناس فى النحو واللغة والشعر منهم اخذ جل ما فى ايدى الناس من هذا العلم وهم (ابو زيد وابو عبيدة والاصمعى) وكلهم اخذوا عن ابى عمرو وعيسى بن عمر وابى الخطاب الاخفش ويونس بن حبيب وعن جماعة من ثقات الاعراب وعلمائهم مثل ابى مالك عمرو بن كركرة صاحب النوادر من بنى نمير

(وابو زيد الانصارى) كان اعلم الثلاثة بالنحو اخذ عنه اكابر الناس منهم سيبويه قال كان يأتى مجلس سيبويه وله ذؤابتان فاذا قال وحدثنى من اثق بعربيته فانما يريدنى ويروى ان اعرابياً وقف على حلقة ابى زيد فظن ابو زيد انه قد جاء يسأل عن مسألة فى النحو فقال له سل يا اعرابى فقال له على البديهة :

لست للنحو جئتكم ... لا ولا فيه ارغب
انا مالى ولامرئ ... ابد الدهر يضرب
خل زيداً لشأنه ... اينما شاء يذهب
واستمع قول عاشق ... قد شجاه التطرب
همه الدهر طفلة ... فهو فيها يشبب

وكبر سن ابى زيد حتى قارب المائة ومات سنة ٢١٤ فى خلافة المأمون ومن مصنفاته كتاب النوادر فى اللغة وقد طبع فى عصرنا سنة ١٣١٤

(وابو عبيدة) كان اعلمهم بايام العرب واخبارهم وانسابهم وهو اول من الف غريب الحديث واقدمه من البصرة الى بغداد الوزير الفضل بن

الربيع فلما حضر انشده فطرب منه ثم دخل ابراهيم بن اسماعيل من كتّاب الوزير وجلسائه فاجلسه بجانبه وسأله أتعرف هذا قال لا قال ابو عبيدة علامة اهل البصرة اقدمناه لنستفيد من علمه فبعد ان حياه استأذنه فى مسألة فقال هات قال قال الله تعالى (طلعها كانه رؤس الشياطين) وانما يقع الوعد والايعاد بما قد عرف مثله وهذا لم يعرف فاجابه بان الله انما كلم العرب على قدر كلامهم اما سمعت قول امرئ القيس :

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ومسنونة زرق كانياب اغوال

وهم لم يروا الغول قط ولكنهم لما كان امر الغول يهولهم اوعدوا به فاستحسن ذلك الفضل وابراهيم وكان هذا سبباً فى ان يضع ابو عبيدة كتاباً فى مجاز القرآن وتوفى سنة ٢٠٧

(والاصمعى) كان اتقن القوم باللغة واعلمهم بالشعر واحضرهم حفظاً وكان الرشيد يسميه شيطان الشعر قال الاخفش ما رأينا احداً اعلم بالشعر من الاصمعى وخلف قيل له ايهما اعلم قال الاصمعى لانه كان نحوياً وكان الامام احمد بن حنبل يقول ان الاصمعى ثقة فى السنة وقال الشافعى ما رأيت بذلك المعسكر اصدق من الاصمعى توفى سنة ٢١٣ فى خلافة المأمون ورثاه ابو العتاهية بقوله :

اسفت لفقد الاصمعى لقد مضى حميداً له فى كل صالحة سهم
تقضت بشاشات المجالس بعده وودعنا اذ ودع الانس والعلم
وقد كان نجم العلم فينا حياته فلما انقضت ايامه افل النجم

(ومنهم) حماد بن سلمة وابو بشر عمرو المعروف بسيبويه والنضر بن شميل المازنى وابو محمد اليزيدى وكلهم اخذوا عن الخليل وغيره

وكان سيبويه اعلم الجميع بالنحو يروى ان سبب قراءته النحو انه جاء الى حماد بن سلمة لكتابة الحديث فاستملى منه قوله عليه الصلاة والسلام ليس من اصحابى احد الا ولو شئت لاخذت عليه ليس ابا الدرداء يعنى لعتبت عليه الا ابا الدرداء فقال سيبويه ليس ابو الدرداء فصاح به حماد لحنت ياسيبويه انما هذا استثناء فقال والله لأطلبن علماً لا يلحننى معه احد ثم مضى واخذ النحو عن الخليل وغيره حتى برع فيه وفاق . والف كتابه المشهور وكان يطلق عليه بالبصرة اسم (الكتاب) فقط لشهرته ومكانته وقد اطلعت على نسخة منه بالمكتبة الخديوية مطبوعة بمدينة باريس سنة ١٨٨١ بعد الميلاد[1] فرأيته ٥٧١ باباً منها فى المبدأ (١) هذا باب علم ما الكلم من العربية (٢) هذا باب مجارى اواخر الكلم من العربية (٣) هذا باب المسند والمسند اليه (٤) هذا باب اللفظ للمعانى (٥) هذا باب ما يكون فى اللفظ من الاعراض ومنها فى الآخر (٥٦٧) هذا باب الادغام فى الحروف المتقاربة (٥٦٨) هذا باب الادغام فى حروف طرف اللسان والثنايا (٥٦٩) هذا باب الحرف الذى يضارع به حرف من موضعه والحرف الذى لا يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه (٥٧٠) هذا باب ما تقلب فيه السين صاداً فى بعض اللغات (٥٧١) هذا باب ما كان شاذاً مما خففوا على ألسنتهم وليس ذلك بمطرد

(وليتعرف المطلع) لسان المتقدمين فى تآليفهم وسيرهم فيها ذكرت هنا بعض تراجم هذه الابواب واذكر نص باب من اصاغرها وهو «هذا باب اللفظ للمعانى» اعلم ان من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين

---

(١) وقد طبع الآن سنة ١٣١٨ بمطبعة بولاق الاميرية

واختلاف اللفظين والمعنى واحد واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين وسنرى ذلك ان شاء الله تعالى فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو جلس وذهب واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو ذهب وانطلق واتفاق اللفظين والمعنى مختلف نحو وجدت عليه من الموجِدة ووجدت اذا اردت وجدان الضالة واشباه هذا كثير » وتوفى سنة ١٨٠

ويحكى ان النضر بن شميل كان بمجلس المأمون فسأله عن الفرق بين السداد بالفتح والسداد بالكسر فقال السداد بالفتح القصد فى الدين والسبيل والسداد بالكسر البلغة وكل ما سددت به شيئاً قال له او تعرف العرب ذلك فاجاب نعم وانشد قول العرجى :

اضاعونى واى فتى اضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

ويحكى ان النضر لما مرض عاده رجل يكنى ابا صالح فقال له مسح الله ما بك فقال لا تقل (مسح) بل قل (مصح) اى اذهبه الله وفرقه أما سمعت قول الشاعر :

واذا الخمرة فيها ازبدت افل الازباد فيها ومصح

فقال ابو صالح ان السين تبدل من الصاد كما يقال الصراط والسراط وصقر وسقر فقال له انت اذاً ابو سالح وتوفى النضر سنة ٢٠٣

وكان ابو محمد اليزيدى يصحب يزيد بن منصور خال المهدى يؤدب ولده فنسب اليه ثم اتصل بالرشيد فجعله مؤدب المأمون ويروى ان المأمون سأله يوماً عن شىء فقال لا وجعلنى الله فداءك فاستحسن منه زيادة الواو فى هذا الموضع ووصله بعطية سنية والف اليزيدى كتاب النوادر فى اللغة وكتاب المقصور والممدود ومختصراً فى النحو وكتاب النقط

والشكل وتوفى سنة ٢٠٢

(ومنهم قطرب ومحمد بن سلام) والاول اخذ عن يونس بن حبيب وفى الطبقات انه اخذ النحو عن سيبويه وهو الذي سماه قطرباً لانه كان يراه بالاسحار على بابه فيقول له انما انت قطرب ليل والقطرب دُويبَّة تدب ولا تفتر واسمه محمد بن المستنير وله من التصانيف كتاب معانى القرآن وكتاب غريب الحديث وكتاب الصفات وكتاب الاصوات وكتاب الاشتقاق وكتاب النوادر وكتاب الاضداد وكتاب خلق الانسان وكتاب فعل وافعل وكتاب القوافى وكتاب الازمنة وكتاب المثلث وكتاب العلل فى النحو وتوفى سنة ٢٠٦ فى خلافة المأمون

واما محمد بن سلام فاخذ عن يونس وغيره وفى الطبقات انه اخذ عن حماد بن سلمة وانه الف كتاباً فى طبقات الشعراء وروى عنه الامام احمد بن حنبل وابو العباس ثعلب وتوفى سنة ٢٣٢

(ومنهم ابو الحسن سعيد الاخفش) وكان اعلم من اخذ عن سيبويه وكان اكبر منه وهو الذى زاد فى العروض بحر الخبب كما سبق وفى الطبقات ان مروان بن سعيد المهلبى سأل الاخفش عن قوله تعالى « فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان » ما الفائدة من هذا الخبر فقال افاد العدد المجرد من الصفة واراد مروان بسؤاله ان الالف فى كانتا تفيد التثنية فلم فسر ضمير المثنى بالاثنتين مع انه لا يجوز ان يقال فان كانتا ثلاثاً او خمساً واراد الاخفش انه كان يجوز ان يقال فان كانتا صغيرتين فلهما كذا وان كانتا كبيرتين فلهما كذا ونحو ذلك فلما قال فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان افاد الخبر ان فرض الثلثين تعلق بمجرد كونهما اثنتين فقط فقد حصل من الخبر

فائدة لم يحصل من ضمير المثنى اه . وله كتاب الاوسط وكتاب المقاييس فى النحو وكتاب الاشتقاق وكتاب العروض وكتاب القوافى وكتاب معانى الشعر وكتاب الملوك وكتاب الاصوات وغير ذلك وتوفى سنة ٢١٥ وقيل سنة ٢٢١

(ومنهم ابو عمرو صالح الجرمي) كان فقيهاً عالماً بالنحو واللغة واخذ النحو عن الاخفش وغيره واللغة عن ابى عبيدة وابى زيد والاصمعى . قدم من البصرة الى بغداد وناظر الفراء قال المبرد كان الجرمى اثبت القوم فى كتاب سيبويه وعليه قرأت الجماعة وله كتاب فى السير عجيب وكتاب الابنية وكتاب العروض ومختصر فى النحو وكتاب غريب سيبويه توفى سنة ٢٢٥

(ومنهم ابو عثمان بكر المازنى) كان امام عصره فى النحو والادب اخذ عن ابى عبيدة والاصمعى وابى زيد واخذ عنه ابو العباس المبرد وروى عنه المبرد ان بعض اهل الذمة قصده ليقرأ عليه كتاب سيبويه وبذل له مائة دينار فامتنع قال فقلت له جعلت فداك أترد هذه المنفعة مع فاقتك فقال له ان هذا الكتاب يشتمل على ثلثمائة وكذا آية من كتاب الله ولست ارى ان امكن منها ذمياً قال فاتفق ان غنت جارية بحضرة الواثق بقول العرجى :

اظلومُ إن مصابكم رجلا اهدى السلام تحيةً ظلم

فاختلف من كان بالحضرة فى اعراب (رجلاً) فمنهم من نصبه وجعله اسم ان ومنهم من رفعه على انه خبرها والجارية مصرة على ان شيخها ابا عثمان المازنى لقنها اياه بالنصب فامر الواثق باشخاصه فلما حضر مجلسه سأله عن ذلك فقال انه منصوب على انه مفعول لمصابكم فانه مصدر بمعنى

اصابتكم فعارضه اليزيدى فقال له انه بمنزلة ان ضربك زيداً ظلم والدليل عليه ان الكلام معلق الى ان تقولَ (ظلم) فيتم فاستحسنه الواثق وامر له بالف دينار قال فلما عاد الى البصرة قال لى كيف رأيت يا ابا العباس رددنا لله مائة فعوضنا الفاً وتوفى المازنى سنة ٢٤٦ بالبصرة

(ومنهم ابو عثمان عمرو الجاحظ) كان عالماً اديباً متفنناً لكنه كان مشوّه الصورة ومن اخباره انه قال ذكرت للمتوكل لتأديب بعض اولاده فلما رآنى استبشع منظرى فامر لى بعشرة آلاف درهم وصرفنى وروى انه كان يأكل مع ابن الزيات فجاؤا بفالوذجة فاسرع الجاحظ فى الاكل حتى خلا ما بين يديه فقال له ابن الزيات تقشعت سماؤك قبل سماء الناس فقال الجاحظ لان غيمها كان رقيقاً ومن احسن تصانيفه كتاب الحيوان والبيان والتبيين وقد طبع هذا سنة ١٣١٣ فى مصر قال ابو القاسم السيرافى حضرنا مجلس الاستاذ ابن العميد الوزير فجرى ذكر الجاحظ فغض منه بعض الحاضرين وازرى به وسكت الوزير عنه فلما خرج الرجل قلت سكت ايها الوزير عن هذا الرجل فى قوله مع عادتك فى الرد على امثاله فقال لم اجد فى مقابلته ابلغ من تركه على جهله ولو وافقته وبينت له لنظر فى كتبه وصار بذلك انساناً يا ابا القاسم فكتب الجاحظ تعلم العقل اولاً والادب ثانياً ولم استصلحه لذلك وكان الجاحظ من ائمة المعتزلة وكان ابن ابى داود يقول انا اثق بظرفه ولا اثق بدينه وروى المبرد قال دخلت على الجاحظ فى آخر ايامه وهو عليل فقلت له كيف انت فقال كيف يكون من نصفه مفلوج ولو نشر بالمناشير لما احس به ونصفه الآخر منقرس لو طار الذباب بقربه لآلمه وقد جزت التسعين وانشد :

اترجو ان تكون وانت شيخ كما قد كنت ايام الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب خليق كالجديد من الثياب

وتوفى سنة ٢٥٥ بالبصرة

(ومنهم ابو العباس المبرد) نزيل بغداد كان اماماً فى النحو واللغة اخذ عن المازنى وغيره واخذ عنه نفطويه وغيره وكان حسن المحاضرة مليح الاخبار كثير النوادر وكان هو وابو العباس ثعلب الكوفى عالمين متناظرين قد ختم بهما تاريخ الادباء ويروى ان المبرد قال حين بلغه ان ثعلباً تكلم فيه بما لا ينبغى :

رب من يعنيه حالى وهو لا يجرى ببالى
قلبه ملآن منى ونؤادى منه خالى

فلما بلغ ثعلباً ذلك انتهى عن الكلام فى المبرد وللمبرد تآليف فى الادب منها كتاب الكامل وقد طبع طبعاً حسناً فى مصر بالمطبعة الخيرية سنة ١٣٠٨ بعد الهجرة ولما توفى سنة ٢٨٥ فى خلافة المعتضد نظم فيه وفى ثعلب ابن العلاف

ذهب المبرد وانقضت ايامه وليذهبَنْ أثر المبرد ثعلب
بيت من الآداب اضحى نصفه خرباً وباقي النصف منه سيخرب
فابكوا لمأسلب الزمان ووطنوا للدهر انفسكم على ما يسلب
وتزودوا من ثعلب فبكاس ما شرب المبرد عن قريب يشرب
وارى لكم ان تكتبوا انفاسه ان كانت الانفاس مما يكتب

(ومنهم ابو بكر محمد المعروف بابن دريد) ولد بالبصرة سنة ٢٢٣ ونشأ بها وأخذ عن علمائها ثم انتقل الى عمان وسكن بها ثم عاد الى البصرة

ثم خرج الى فارس وانتقل الى بغداد واقام بها الى حين وفاته سنة ٣٢١ فعمره يقرب من المائة وكان امام عصره فى اللغة والادب والشعر قال المسعودى فى مروج الذهب وكان ابن دريد فى بغداد ممن برع فى زماننا فى الشعر واللغة وقام مقام الخليل واورد اشياء فى اللغة لم توجد فى كتب المتقدمين وكان يذهب بالشعر كل مذهب فمن جيد شعره قصيدته المشهورة بالمقصورة التى مدح بها الشاه بن ميكال وولديه واولها :

امّا ترى رأسى حاكى لونه طرة صبح تحت اذيال الدجى
واشتعل المبيضّ فى مسودّه مثل اشتعال النار فى جمر الغضا

وله من المؤلفات المشهورة كتاب الجمهرة فى اللغة وقد تقدم الكلام عليه وله كتاب الاشتقاق وكتاب السرج واللجام وكتاب زوار العرب وكتاب اللغات وكتاب السلاح وغير ذلك

نحاة الكوفة وأدباؤها

(من نحاة الكوفة وادبائها معاذ بن مسلم الهراء) استاذ الكسائى وهو اول من وضع التصريف ولكن لم يظهر له مصنف وكان صديق الكميت الشاعر وقد عاش زمناً طويلاً يتجاوز المائة فانه على الصحيح ولد فى ايام عبد الملك المتوفى سنة ٨٦ وتوفى سنة نكبة البرامكة اى سنة ١٨٧ وفى هذا قال سهل الشاعر قصيدة منها :

ان معاذ بن مسلم رجل ليس لميقات عمره امد
قد شاب رأس الزمان واكتهل الدهر واثواب عمره جُدُد
قل لمعاذ اذا مررت به قد ضج من طول عمرك الامد

(ومنهم ابو جعفر محمد الرؤاسي) وهو ابن اخي معاذ الهراء وهو اول من وضع من الكوفيين كتاباً في النحو سماه الفيصل واخذ عنه الكسائي ايضاً

(ومنهم ابو الحسن علي بن حمزة الكسائي) وهو عالم اهل الكوفة كان اماماً في النحو واللغة والقرآآت والسبب في تعلمه النحو انه قال مرة (عييت) بعد ان مشى طويلاً فرد عليه بان الصواب ان تقول (اعييت) من التعب و (عييت) من الحيرة في الامر فانف من ذلك واخذ يتعلم على معاذ بن مسلم الهراء ثم ذهب الى البصرة واخذ عن الخليل ثم ذهب الى البوادي وسمع من العرب ثم عاد الى بغداد وجاء سيبويه من البصرة الى بغداد وكان الكسائي يعلم الامين بن هارون الرشيد فجمع بينهما وتناظرا وزعم الكسائي ان العرب تقول كنت اظن الزنبور اشد لسعاً من النحلة فاذا هو اياها فقال سيبويه ليس المثل كذا بل فاذا هو هي وتجادلا طويلاً واتفقا على مراجعة عربي خالص لا يشوب كلامه شيء من كلام اهل الحضر فاحضروا عربياً فوافق الكسائي بايعاذ من الامين مع ان الحق مع سيبويه وتوفي الكسائي سنة ١٨٩

(ومنهم ابو زكريا يحيى بن زياد الفراء) كان ابرع الكوفيين واعلمهم بالنحو واللغة وفنون الادب اخذ عن الكسائي وورد بغداد في خلافة المأمون وعلم ولديه وامره ان يؤلف كتاباً يجمع فيه اصول النحو وما سمع من العربية فصنف كتاب الحدود في سنتين قال ابن الانباري لو لم يكن لاهل بغداد والكوفة من علماء العربية الا الكسائي والفراء لكان لهم الافتخار اذ انتهت العلوم اليهما وتوفي الفراء سنة ٢٠٧ في خلافة المأمون

(ومنهم ابو عبدالله محمد المعروف بابن الاعرابى) كان صاحب لغة اخذ الادب عن الكسائى وغيره واخذ عنه ابو العباس ثعلب وابن السكيت وكان يناقش العلماء ويستدرك عليهم ويخطىء كثيراً من نقلة اللغة وكان يزعم ان ابا عبيدة والاصمعى لا يحسنان شيئاً وكان يقول جائز فى كلام العرب ان يعاقبوا بين الضاد والظاء فلا يخطىء من يجعل هـذه فى موضع تلك وينشد :

الى الله اشكو من خليل اوده ثلاث خلال كلها لى غائض

بالضاد ويقول هكذا سمعته من فصحاء العرب وكان يحضر مجلسه كثير من المستفيدين وله مصنفات كثيرة منها كتاب النوادر وكتاب الانواء وكتاب تاريخ القبائل وكتاب معانى الشعر وكتاب تفسير الامثال وكتاب الالفاظ ولد فى السنة التى توفى فيها الامام ابو حنيفة اى سنة ١٥٠ وتوفى سنة ٢٣١

(ومنهم ابو طالب المفضل بن سلمة الضبى) كان فاضلاً فى الادب اخذ عن ابن الاعرابى وغيره واستدرك على الخليل فى كتاب العين وصنف فى ذلك كتاباً ومن تصانيفه كتاب التاريخ فى علم اللغة وكتاب المفاخر وكتاب العود والملاهى وكتاب جلاء الشبه وكتاب الطيف وكتاب الاشتقاق وكتاب المقصور والممدود وكتاب المدخل فى علم النحو وروى عنه ابو بكر الصولى وزعم انه سمع منه سنة ٢٩٠ (انتهى من ابن خلكان فى ترجمة ابى الطيب محمد بن المفضل) والمفضل الضبى هـذا غير (ابى عبد الرحمن المفضل بن محمد الضبى) الذى جمع للمهدى اشعاراً اختارها سماها بالمفضليات وتزيد وتنقص واصحها التى رواها عنه ابن الاعرابى فابن

الاعرابي متوسط بين المفضلين ناقل الادب من هذا الى ذاك

(ومنهم ابو العباس ثعلب) كان امام الكوفيين فى النحو واللغة فى زمانه اخذ عن ابن الاعرابى وغيره واخذ عنه ابو الحسن على الاخفش وابن عرفة وابن الانبارى وغيرهم وكان المبرد يقول اعلم الكوفيين ثعلب حكى ثعلب عن العرب راكب الناقة طليحان اى راكب الناقة والناقة طليحان الا انه حذف المعطوف لتقدم ذكر الناقة ومن تصانيفه كتاب الفصيح وهو صغير الحجم كثير الفائدة وقد طبع فى مطبعة وادى النيل بالقاهرة سنة ١٢٨٥ وتوفى ثعلب ببغداد سنة ٢٩١

من اشتهر بالادب فى بغداد

وكان كثير من علماء المصرين ينتقلون الى بغداد ويسكنونها كما علمت وممن اشتهر بالادب فى بغداد غير من سلفوا (يعقوب بن السكيت) كان يؤدب اولاد الخليفة المتوكل وكتبه جيدة صحيحة منها اصلاح المنطق ويوجد بالمكتبة الخديوية وكتاب الالفاظ وقد طبع فى سنة ١٣١٤ وكتاب فى معانى الشعر وكتاب القلب والابدال قال ابو الحسن الطوسى كنا فى مجلس ابى الحسن على اللحيانى وكان عازماً على ان يملى نوادره فقال تقول العرب مثقل استعان بذقنه فقال له ابن السكيت وهو حدث انما هو مثقل استعان بدفيه يريدون الجمل اذا نهض استعان بجنبيه فقطع الاملاء فلما كان المجلس الثانى املى فقال تقول العرب هو جارى مكاشرى فقال له ابن السكيت وما معنى مكاشرى انما هو مكاسرى كسر بيتى الى كسر بيته فما املى اللحيانى بعد ذلك ومات ابن السكيت ببغداد سنة ٢٤٤

(وابو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى المعروف بابن قتيبة) ولد سنة ٢١٣ ببغداد وقيل بالكوفة واقام بالدينور مدة قاضياً فنسب اليها ثم سكن بغداد وكان فاضلاً ثقة فى النحو واللغة والشعر متفنناً فى العلوم وله من التصانيف كتاب ادب الكاتب وكتاب المعارف وكتاب طبقات الشعراء وكتاب الميسر والقداح وغير ذلك واقرأ كتبه ببغداد ويقال انه الف كتاب ادب الكاتب لابى الحسن وزير المعتمد وقد طبع فى مصر سنة ١٣٠٠ بمطبعة الوطن وقد شرحه البطليوسى وتوفى ابن قتيبة سنة ٢٧٦

(وابواسحق الزجاج) كان عالماً ماهراً فى الادب اخذ عن المبرد وثعلب واخذ عنه ابو على الفارسى ومن مصنفاته كتاب الامالى وكتاب الاشتقاق وكتاب العروض وكتاب القوافى وكتاب مختصر فى النحو وكتاب فعلت وافعلت وكتاب ما ينصرف ومالا ينصرف وكتاب شرح ابيات سيبويه وكتاب النوادر وتوفى سنة ٣١٦ ببغداد

(وابو بكر محمد بن السراج) كان اماماً جليلاً فى النحو والادب اخذ عن المبرد وغيره واخذ عنه ابو سعيد السيرافى ونقل عنه الجوهرى فى صحاحه ومن مصنفاته المشهورة كتاب الاصول فى علم العربية وكتاب جمل الاصول وكتاب الاشتقاق وشرح كتاب سيبويه وكتاب الشعر والشعراء وتوفى سنة ٣١٦

(وابو عبد الله ابراهيم نفطويه النحوى) ولد بواسط وسكن بغداد وتوفى بها سنة ٣٢٣ وكان يتبع طريقة سيبويه ويدرس كتابه

(وابو بكر محمد بن الانبارى) اخذ عن ثعلب وكان علامة وقته فى الادب وله مصنفات كثيرة منها كتاب الكافى فى النحو وكتاب

الاضداد وكتاب الجاهليات وكتاب المذكر والمؤنث وشرح المفضليات والسبع الطوال وتوفى سنة ٣٢٧

(وابو القاسم عبدالرحمن الزجاجى) نشأ ببغداد واخذ النحو عن ابى بكر بن الانبارى وغيره وصحب ابا اسحق الزجاج فنسب اليه وصنف كتابه المشهور بالجمل وانتفع به ناس كثيرون وانتقل الى دمشق وسكنها وتوفى بها سنة ٣٣٧

(وابو محمد عبد الله بن درستويه) اخذ الادب عن المبرد وابن قتيبة وغيرهما ببغداد واخذ عنه جماعة من الافاضل كالدارقطنى وله مصنفات كثيرة منها كتاب المقصور والممدود وكتاب معانى الشعر وكتاب الارشاد فى النحو وكتاب الهجاء وكتاب اخبار النحويين وتوفى ببغداد سنة ٣٤٧ فى خلافة المطيع

(وابو حسن الفارسى) ولد بمدينة فسا ثم انتقل الى بغداد سنة ٣٠٧ واخذ عن الزجاج وغيره حتى برع فى النحو ثم اقام بحلب عند سيف الدولة ابن حمدان وكان بينه وبين المتنبى مجالس ثم انتقل الى فارس وصحب عضد الدولة بن بويه وقد علت منزلته عنده حتى قال انا غلام ابى على الفسوى فى النحو وصنف له كتاب الايضاح والتكملة فى النحو وله تصانيف كثيرة غير ذلك وتوفى سنة ٣٧٧ ببغداد

(وابو سعيد الحسن السيرافى) تولى قضاء بغداد وكان من اعلم الناس بنحو البصريين شرح كتاب سيبويه وله كتاب القات الوصل والقطع وكتاب اخبار النحويين وكتاب صنعة الشعر والبلاغة وشرح مقصورة ابن دريد واخذ اللغة عنه والنحو عن ابى بكر بن السراج وكان بينه وبين

ابى الفرج الاصبهانى صاحب كتاب الاغانى تنافس فقال فيه هذا :

لست صدراً ولا قرأت على صد ر ولا علمك البكىّ بشاف

لعن الله كل نحو وشعر وعروض يجىء من سيراف

وتوفى السيرافى سنة ٣٦٠ ببغداد

واشتهر من الموصل (ابو الفتح عثمان بن جنى) اخذ الادب عن ابى على الفارسى وكان اماماً فى العربية وله مصنفات كثيرة منها كتاب الخصائص وسر الصناعة والتلقين فى النحو وشرح ديوان المتنبى وكان قد قرأه على صاحبه قال ابن خلكان ورأيت فى شرحه قال سأل شخص ابا الطيب المتنبى عن قوله :

باد هواك صبرت ام لم تصبرا

فقال كيف اثبت الالف فى تصبرا مع وجود لم الجازمة وكان الواجب ان تقول لم تصبر فقال المتنبى لو كان ابو الفتح هنا لاجابك بعينى وهذه الالف هى بدل من نون التوكيد الخفيفة كان فى الاصل لم تصبرن ونون التوكيد الخفيفة اذا وقف الانسان عليها ابدل منها الفاً قال الاعشى : ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

وكان الاصل فاعبدن فلما وقف اتى بالالف بدلاً من النون وتوفى ابن جنى ببغداد سنة ٣٩٢

وكان فى عصر ابن جنى (على بن عيسى الربعى) اخذ فى بغداد عن ابى سعيد السيرافى ثم خرج الى شيراز واخذ عن ابى على الفارسى ثم عاد الى بغداد وشرح كتاب الايضاح لابى على وكتاب الجرمى وصنف كتاب البديع فى النحو وتوفى سنة ٤٢٠ فى بغداد

واشتهر فى هذا العصر بالاندلس (ابو الحجاج يوسف المعروف بالاعلم) من اهل شنتمرية الغرب رحل الى قرطبة سنة ٤٣٣ واقام بها مدة واخذ عن علمائها وشرح الجمل فى النحو لابى القاسم الزجاجى وشرح كتاب ابيات الجمل فى كتاب مفرد وتوفى سنة ٤٧٦ بمدينة اشبيلية من جزيرة الاندلس

واشتهر من المعرّة (ابو العلاء احمد المعرّى) كان اماماً واسع الادب متفنناً قرأ النحو واللغة على ابيه بالمعرّة ثم على محمد بن عبدالله النحوى بحلب وقرأ عليه ابو القاسم على التنوخى والخطيب التبريزى وتصانيفه مشهورة منها ديوان سقط الزند وشرحه ضوء السقط وكتاب اللامع فى شرح شعر المتنبى ولهذا كان يقول وهو اعمى كأن المتنبى ينظر الىّ بلحظ الغيب حيث يقول :

انا الذى نظر الاعمى الى ادبى واسمعت كلماتى من به صممُ

وديوان لزوم ما لا يلزم ومنه :

لا تطلبنّ بآلة لك رتبة قلم البليغ بغير حد مغزل
سكن السما كان السماء كلاهما هذا له رمح وهذا اعزل

واختصر ديوان ابى تمام وشرحه وسماه ذكرى حبيب وديوان البحترى وسماه عبث الوليد وديوان المتنبى وسماه معجز احمد ومكث مدة خمس واربعين سنة لا يأكل اللحم كى لا يذبح الحيوان فيؤلمه والآن توجد طائفة باوربا ترى رأى ابى العلاء وتقتصر على اكل النبات ودخل بغداد سنة ٤٩٨ ثم عاد الى المعرّة وتوفى بها سنة ٤٩٩ واوصى بان يكتب على قبره :

هذا جناه ابى علىّ وما جنيت على احد

واشتهر من تبريز (يحيي الخطيب التبريزى) واخذ عن ابى العلاء وأبى محمد الدهان ودرس الادب بالمدرسة النظامية ببغداد وله شعر حسن ومن تصانيفه كتاب اعراب القرآن وكتاب الكافى فى علمى العروض والقوافى وشرح اللمع لابن جنى وشَرَحَ الحماسة وديوان المتنبي والمعلقات والمفضليات والمقصورة لابن دريد وسقط الزند واخذ عنه ابو منصور موهوب الجواليقى وتوفى سنة ٥٠٢ ببغداد

وكان فى هذا العصر (ابو محمد القاسم الحريرى البصرى) وكان اديباً فاضلاً نحوياً منشئاً ومن مصنفاته درة الغوّاص فى اوهام الخواص وملحة الاعراب وشرحها والمقامات المشهورة وجاء بها الى بغداد وادعاها فلم يصدقه ادباؤها وهذه المصنفات مطبوعة ومشهورة وكان يقول نقلاً عن شيخه اذا قلت ماسود زيداً وما اسمر عمراً وما اصفر هذا الطائر وما ابيض هذه الحمامة وما احمر هذه الفرس فسدت كل مسألة منها من وجه وصحت من وجه فيفسد جميعها اذا اردت التعجب من الالوان وتصح جميعها اذا اردت التعجب من سُوَدَد زيد وسمر عمرو وهو الحديث بالليل خاصة ومن صفير الطائر وكثرة بيض الحمامة ومن حَمَر الفرس وهو ان ينتن فوها ومن شعره :

ولما تعامى الدهر وهو ابو الورى عن الرشد فى انحائه ومقاصده
تعاميت حتى قيل انى اخو العمى ولاغرو ان يحذو الفتى حذو والده

وتوفى سنة ٥١٦ ببنى حرام من البصرة

واشتهر من نيسابور (ابو الفضل احمد الميدانى) صاحب كتاب الامثال المشهورة وكتاب نزهة الطرف فى علم الصرف وهما مطبوعان وله

مؤلفات حسنة غير ذلك وكان ينشد كثيراً :

تنفس صبح الشيب فى ليل عارضى ... فقلت عساه يكتفى بعذارى
فلما فشا عاتبته فاجابنى ... أيا هل ترى صبحاً بغير نهار

وتوفى سنة ٥١٨ بنيسابور

واشتهر من هراة احدى مدن خراسان (ابو سعد آدم بن اسد) وكان اديباً فاضلاً ورد بغداد حاجاً سنة ٥٢٠ وقرئ عليه الحديث والادب وجرى بينه وبين ابى منصور الجواليقى ببغداد نوع منافرة فى شىء اختلفا فيه فقال الهروى للجواليقى انت لا تحسن ان تنسب نفسك فان الجواليقى نسبة الى الجمع والنسبة الى الجمع بلفظه لا تصح وفى طبقات الانبارى ان هذا مغالطة فان لفظ الجمع اذا سمى به جاز ان ينسب اليه كمدائنى وانمارى وتوفى سنة ٥٣٦

واشتهر من زمخشر احدى قرى خوارزم (ابو القاسم محمود الزمخشرى) وكان امام عصره فى الادب وله تصانيف جليلة تدل على علو منزلته وان لا يدرك شأوه منها الكشاف فى تفسير القرآن الكريم والفائق فى تفسير الحديث واساس البلاغة فى اللغة والمفصل والانموذج فى النحو والمستقصى فى امثال العرب والقسطاس فى العروض وديوان الرسائل وديوان الشعر وكتاب اسماء الاودية والجبال وغير ذلك وقدم بغداد للحج وجاور بمكة زماناً فلذا يقال له جار الله وتوفى سنة ٥٣٨ بجرجانية خوارزم بعد رجوعه من مكة

ومن مفاخر بغداد فى هذا العصر (ابو منصور موهوب الجواليقى وهبة الله بن الشجرى وابو محمد سعيد المعروف بابن الدهان) فالاول كان

اماماً فى فنون الادب اخذ عن الخطيب التبريزى وصنف للامام المقتفى كتاباً لطيفاً فى العروض والف شرح ادب الكاتب والمعرّب وتتمة درة الغواص للحريرى وسماها التكملة فيما يلحن فيه العامة وكان فى اللغة امثل منه فى النحو وتوفى سنة ٥٣٩ ببغداد . والثانى كان اماماً فى النحو واللغة واشعار العرب وايامها وله كتاب الامالى فى فنون الادب وكتاب سماه الحماسة ضاهى به حماسة ابى تمام وتصانيف فى النحو حكى عن المبرد فى بناء حذام انه اجتمع فيه ثلاث علل التعريف والتأنيث والعدل فبعلتين يجب منع الصرف وبالثالثة يجب البناء وتقابل ابن الشجرى والزمخشرى ببغداد وتوفى سنة ٥٤٢ ببغداد . والثالث كان سيبويه عصره ومن تصانيفه المفيدة فى الادب شرح الايضاح والتكملة وشرح اللمع لابن جنى وسماه الغرة وكتاب العروض وكتاب الدروس فى النحو وكتاب الرسالة السعيدية فى المآخذ الكندية يشتمل على سرقات المتنبى والعقود فى المقصور والممدود والغنية فى الاضداد وانتقل من بغداد الى الموصل وكانت كتبه قد تخلفت ببغداد فاستولى الغرق تلك السنة على البلد فسيّر من يحضرها اليه فوجدها قد غرقت ولما حملت اليه على تلك الصورة بخرها باللاذن لتظهر كتابتها فعمى من ذلك واخذ عنه خلق كثير بالموصل وتوفى سنة ٥٦٩

واشتهر من الانبار وهى قرية قديمة على الفرات على عشرة فراسخ من بغداد (عبد الرحمن بن محمد الانبارى) سكن بغداد واخذ عن الجواليقى وابن الشجرى وتفقه بالمدرسة النظامية وتصدر لاقراء النحو بها وتبحر فى علم الادب واخذ عنه علماء كثيرون وله فى النحو كتاب اسرار العربية وكتاب الميزان وكتاب طبقات الادباء وقد اقتطفت منه ومن ابن

خلكان ما انا بصدده الآن ولم يزل مشتغلاً بالعلم حتى مات سنة ٥٧٧ ببغداد

واشتهر بالاندلس ايضاً (ابو الحسن علي المعروف بابن خروف الاشبيلي) تخرج على ابن طاهر النحوي الاندلسي وشرح كتاب سيبويه وكتاب الجمل لابي القاسم الزجاجي وتوفي سنة ٦١٠ باشبيلية

واشتهر من حلب (ابو البقاء يعيش بن علي بن يعيش المعروف بابن الصائغ) كان عالماً ماهراً في النحو والصرف واجتمع في دمشق بالشيخ ابي اليمن زيد الكندي وسأله عن مواضع مشكلة في العربية وعن اعراب قول الحريري في المقامة العاشرة « حتى اذا لألأ الافق ذنب السرحان وآن انبلاج الفجر وحان » فاستبهم الجواب على الكندي هل الافق وذنب مرفوعان او منصوبان او احدهما مرفوع والآخر منصوب قالوا ويجوز في ذلك اربعة اوجه والمختار منها نصب الافق ورفع ذنب قال ابن خلكان ولما وصلت حلب سنة ٦٢٦ للاشتغال بالعلم وهي اذ ذاك ام البلاد مشحونة بالعلماء والمشتغلين وكان ابن الصائغ شيخ الجماعة في الادب قرأت عليه وابتدأت بقراءة اللمع لابن جني عليه وكان حسن التفهيم لطيف الكلام خفيف الروح ظريف الشمائل كثير المجون مع سكينة ووقار وشرح كتاب المفصل للزمخشري وتصريف الملوكي لابن جني وتوفي بحلب سنة ٦٤٣

واشتهر بالقاهرة (ابو عمرو عثمان المعروف بابن الحاجب) تخرج بها وبرع في علوم العربية وغيرها ثم انتقل الى دمشق ودرس بجامعها قال ابن خلكان وقد سألته عن مواضع في العربية مشكلة فاجاب ابلغ اجابة ومن جملة ذلك ان سألته في بيت المتنبي :

لقد تصببت حتى لات مصطبري ... فالآن أُقْحَمُ حتى لات مقتحَمِ

عن السبب فى خفض مصطبرٍ ومقتحم ولات ليست من ادوات الجر فاطال الكلام واحسن الجواب اهـ . ولم يذكر ابن خلكان صورة اجابة ابن الحاجب عن ذلك خوف الاطالة واقول يجوز فى هذا ان يكون الجر بحتى ولات كلا ليست حاجزاً كما جروا بالباء فى قولهم جئت بلا زاد على رأى ونصبوا المضارع بان فى نحو (لئلا يعلم) وفى شرح المتنبى للعكبرى فى هذا الموضع التاء في لات زائدة وقد تزاد فى الحروف كثم وثمت ورب وربت والجر به شاذ وقد جر به العرب وانشدوا :

طلبوا صلحنا ولات اوانٍ فاجبنا ان لات حين بقاء «اهـ»

ثم عاد ابن الحاجب الى القاهرة واخذ عنه خلق كثير ومن مصنفاته الكافية فى النحو والشافية فى الصرف وتوفى سنة ٦٤٦

وعلى الكافية شروح كثيرة من اشهرها شرح رضى الدين محمد ابن الحسن الاستربادى المتوفى حوالى سنة ٦٩٠

وهذا الشرح جليل الاعتبار كثير الفوائد فيه اشياء لا توجد فى غيره وشواهد هذا الشرح اخذها عبد القادر البغدادى المتوفى بالقاهرة سنة ١٠٩٣ بنى عليها خزانته المشهورة المسماة خزانة الادب ولب لباب لسان العرب وهى واسعة الارجاء مملوءة بجواهر الأدب قل ان يوجد كتاب فى بابها يحاكيها فهى ضالة الاديب وقد طبعت بمطبعة بولاق سنة ١٢٩٩ فى اربعة اسفار ضخمة

واشتهر بدمشق (محمد بن عبد الله بن مالك) نشأ بمدينة جيان من الاندلس ثم انتقل الى دمشق واقام بها وكان بحراً لا يشق عبابه فى العلوم خصوصاً فى النحو وتصدر بحلب لاقراء العربية وكان يجتمع به قاضى

القضاة ابن خلكان ويحترمه لعلمه ومن تصانيفه منظومة الكافية الشافية في النحو وهي ثلاثة آلاف بيت وشرحها ثم لخصها في ارجوزة سماها الخلاصة وهي الف بيت ولذا تعرف بالالفية ونثر هذه في كتاب سماه الفوائد النحوية والمقاصد المحوية ولتسهيل هذا الكتاب وتكميله صنف كتاباً سماه تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد واشتهر كتاب التسهيل دون كتاب الفوائد ومن تصانيفه ايضاً الاعلام بمثلث الكلام وعمدة اللافظ وعمدة الحافظ وتوفي بدمشق سنة ٦٧٢

هذا وقد اقبل الناس اقبالاً زائداً على الالفية يحفظونها ويتعرفون احكامها ولذا اكثر العلماء من شروحها فمن شرحها محمد بن ناظمها المتوفى سنة ٦٨٦ بدمشق وعبدالله بن عبدالرحمن المشهور بابن عقيل المتوفى بالقاهرة سنة ٦٩٨ وحسن بن قاسم المصري المتوفى سنة ٧٤٩ وقد شرح التسهيل ايضاً وابو زيد عبد الرحمن المكودي المتوفى سنة ٨٠١ وابو الفضل عبد الرحمن جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ وبدر الدين على الاشموني المتوفى في حدود سنة ٩٠٠ وهذا الشرح يسمى منهج السالك الى الفية ابن مالك ويدرس بالازهر بعد شرح ابن عقيل لانه اوسع منه واصعب ودونوا على هذه الشروح حواشي فمن ذلك حاشية احمد بن قاسم العبادي المتوفى سنة ٩٩٢ على شرح ابن الناظم وحاشية الشيخ احمد السجاعي المتوفى سنة ١١٩٧ بمصر على شرح ابن عقيل وحاشية الشيخ محمد الخضري الدمياطي المتوفى سنة ١٢٨٨ على هذا الشرح وهي اوسع وانفع من حاشية السجاعي وكلاهما يقرأ بالازهر وحاشية الشيخ محمد الحفني المصري المتوفى سنة ١١٠١ بمصر على شرح الاشموني وحاشية الشيخ محمد الصبان المصري المتوفى

سنة ١٢١٦ على هذا الشرح ايضاً ويقرأها المنتهون بالازهر

ومن اشبيليه (على بن محمد الكتامي ابوالحسن المعروف بابن الضائع) كان اماماً فى العربية لا يجارى لازم الشلوبين وفاق اصحابه باسرهم املى على ايضاح الفارسى ورد اعتراضات ابن الطراوه على الفارسى واعتراضات على سيبويه واعتراضات البطليوسى على الزجاجى ورد على ابن عصفور معظم اختياراته وله شرح الجمل وشرح كتاب سيبويه جمع فيه بين شرحى السيرافى وابن خروف وله فى مشكلاته عجائب توفى سنة ٦٨٠

وكان من اهل فاس (ابو عبدالله محمد بن محمد بن داود المعروف بابن آجرّوم الصنهاجى) نسبة الى صنهاجة وهى قبيلة بالمغرب المتوفى سنة ٧٢٣ ولا يؤثر عنه الا متن الاجرومية وعليها شروح كثيرة . منها شرح الشيخ خالد الازهرى المتوفى سنة ٩٠٥ وعليه حاشية للسيد محمد ابى النجا من نحاة القرن الثالث عشر . ومنها شرح الشيخ حسن الكفراوى (نسبة الى كفر الشيخ حجازى بالقرب من المحلة الكبرى) الازهرى المتوفى سنة ١٢٠٢ بالقاهرة وعليه حاشية للشيخ اسماعيل الحامدى شيخ رواق الصعائده بالازهر الآن (سنة ١٣١٤) وهذا الشرح اول كتاب يقرأه طالب النحو بالازهر ويقرأ بعده شرح الشيخ خالد السابق ويقرأ بعدهما الازهرية وشرحها للشيخ خالد المذكور وعلى الازهرية حاشية للشيخ محمد الامير المتوفى سنة ١٢٣٢ وحاشية للشيخ حسن العطار المصرى المتوفى سنة ١٢٥٠

واشتهر من الاندلس (ابو حيان محمد بن يوسف الاندلسى الغرناطى) نزيل مصر كان امام عصره فى فنون الادب اخذ عن ابن الضائع وغيره واخذ عنه كثير من الائمة كتقى الدين السبكى وابن قاسم وابن عقيل

والسمين وكان يقرئ الناس كتاب سيبويه ومصنفات ابن مالك ويرغبهم فيها ويشرح لهم غامضها ومصنفاته فى العربية كثيرة منها التذييل والتكميل فى شرح التسهيل وهو مطول واختصره فى كتاب سماه ارتشاف الضرب من لسان العرب قال الصفدى لم اره قط الا يسمع او يشتغل او يكتب او ينظر فى كتاب وكان ثبتاً فيما عارفاً باللغة واما النحو والصرف فهو الامام المطلق فيهما وخدم العلم اكثر عمره حتى صار لا يدركه احد فى اقطار الارض وله اليد الطولى فى التفسير والحديث وتراجم الناس ومعرفة طبقاتهم خصوصاً المغاربة ومن شعره :

عداى لهم فضل علىّ ومنة فلا اذهب الرحمن عنى الاعاديا
هم بحثوا عن ذلتى فاجتنبتها وهم نافسونى فاكتسبت المعاليا

ومنه

سبق الدمع بالمسير المطايا اذ نوى من احب عنى نقله
واجاد السطور فى صفحة الخدّ ولم لا يجيد وهو ابن مقله

ومات بالقاهرة سنة ٧٤٥

واشتهر من مصر (عبد الله بن هشام الانصارى) خاتمة النحاة ذوى الآراء والمذاهب كان اماماً لا يبارى ومصنفاته فى النحو تشهد له برفعة المكانة ورسوخ القدم وللناس اقبال عليها فمنها قطر الندى وبلّ الصدى وشرحه وشذور الذهب فى معرفة كلام العرب وشرحه ويقرأ القطر والشذور بالازهر قبل شرح ابن عقيل على الالفية وبعد الازهرية ومنها مغنى اللبيب ورتبه على ثمانية ابواب الاول فى تفسير المفردات وفيه يذكر حروف المعانى وما اشبهها والثانى فى تفسير الجملة وذكر اقسامها

واحكامها والثالث فى ذكر احكام ما يشبه الجملة وهو الظرف والجار والمجرور وذكر حكمهما فى التعلق والرابع فى ذكر احكام يكثر دورها ويقبح بالمعرب جهلها والخامس فى ذكر الجهات التى يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها والسادس فى التحذير من امور اشتهرت بين المعربين والصواب خلافها والسابع فى كيفية الاعراب والثامن فى ذكر امور كلية يتخرج عليها ما لا يحصر من الصور الجزئية وهى احدى عشر قاعدة ويندرج تحت كل باب مواد كثيرة تعرف من الاطلاع على فهرس الكتاب وله ايضاً كتاب اوضح المسالك الى الفية ابن مالك وقد نثرها فيه ويعرف بالتوضيح قال الامير فى حاشيته على المغنى هذا ولد ابن هشام بالقاهرة سنة ٧٠٨ ولم يأخذ عن ابى حيان غير انه سمع منه ديوان زهير بن ابى سلمى ومن شعره :

ومن يصطبر للعلم يظفر بنيله ... ومن يخطب الحسناء يصبر على البذل
ومن لم يذل النفس فى طلب العلا ... يسيراً يعش دهراً طويلاً اخا ذل

وتوفى سنة ٧٦١ ورثاه ابن نباته المصرى شاعر الملك المؤيد صاحب مصر وحماه بقوله :

سقى ابن هشام فى الثرى نوء رحمة ... يجر على مثواه ذيل غمام
سأروى له من سائر المدح سيرةً ... فما زلت اروى سيرة بن هشام

تورية بعبد الملك بن هشام صاحب السيرة

وقد اعتنى العلماء بمصنفات ابن هشام فشرحوها وكتبوا عليها الحواشى فمن ذلك (تحفة القريب فى الكلام على مغنى اللبيب) لمحمد بن ابى بكر المخزومي الاسكندرى المعروف بالدمامينى ولد بالاسكندرية وتوفى بالهند

سنة ٨٢٧ والف هذا الشرح بامر السلطان ابى الفتح ناصر الدين محمد شاه الهندى (والتصريح بمضمون التوضيح) وهو شرح للشيخ خالد الازهرى المتوفى بالقاهرة سنة ٩٠٥ (وبلوغ الارب بشرح شذور الذهب) لابى يحيى زكريا الانصارى المتوفى بمصر سنة ٩٢٦ (وحاشية السجاعى) المتوفى سنة ١١٩٧ على شرح القطر (وحاشية محمد الامير) المتوفى سنة ١٢٣٢ (وحاشية محمد الدسوقى) المتوفى سنة ١٢٣٩ وكلاهما على المغنى

واشتهر من مصر ايضاً (ابو الفضل عبد الرحمن المعروف بجلال الدين السيوطى) كان اماماً مجتهداً فى العلوم كما تشهد بذلك مصنفاته التى تبلغ ثلثمائة كتاب اخذ عن تقى الدين الشمنى ومحيى الدين الكافيجى وغيرهما وقال انه تبحر فى سبعة علوم التفسير والحديث والفقه والنحو والمعانى والبديع واصل الفلسفة وقد وصل فى هذه العلوم الستة سوى الفقه الى درجة لم يصل اليها ولا وقف عليها احد من اشياخه ومن مصنفاته فى فن العربية كتاب الاشباه والنظائر النحوية وهو كتاب جامع للمهمات مرتب على سبعة فنون كل فن مستقل بخطبة ولقب وكتاب الاقتراح فى علم اصول النحو قال فى اوله . هذا كتاب غريب الوضع عجيب الصنع فى علم لم اسبق الى ترتيبه وهو علم اصول النحو الذى هو بالنسبة الى النحو كاصول الفقه بالنسبة الى الفقه . رتبه على مقدمة وسبعة كتب وشرح الالفية والتوضيح والمغنى وشواهده وحشى الشذور وغير ذلك وان اردت الاطلاع على أسماء مصنفاته فعليك بترجمته فى كتابه المسمى بحسن المحاضرة وتوفى سنة ٩١١

وفى القرن السابع الهجرى وما بعده الى وقتنا هذا مال النحاة فى

الغالب عن الابتداع فى الاصول وقصروا هممهم على فهم وتفهيم ما دونه السلف فاكثروا من تصنيف الشروح والحواشى على متونهم كما رأيتهم فعلوا فى مصنفات ابن مالك ومصنفات ابن هشام . وقد تغالوا فى هذا الامر حتى كتبوا كتباً على الحواشى سموها التقارير كتقارير شمس الدين محمد الانبابى من اكابر علماء القرن الرابع عشر على حاشية ابى النجاء على شرح الشيخ خالد على متن الاجرومية وعلى حاشية العطار على شرح الازهرية وعلى حواشى القطر وعلى حواشى الشذور وعلى حواشى ابن عقيل وعلى حواشى الصبان وقد توفى الشيخ الانبابى سنة ١٣١٣

دراسة النحو فى الازهر

قبل الخوض فى ذلك نذكر لمعة من تاريخ هذا الجامع الشهير فنقول :

الازهر مدرسة جامعة واسعة الارجاء انشأها جوهر قائد الخليفة المعز الفاطمى بعد ان فتح مصر سنة ٣٥٨ واختط مدينة القاهرة وكان الشروع فى بنائه سنة ٣٥٩ وكمل بناؤه سنة ٣٦١ وترتب المتصدرون لقراءة العلم به سنة ٣٨٠ فى عهد العزيز بن المعز ولقد اخذ الازهر شهرة واسعة ملات طباق الارض فهرعت اليه الناس افواجاً من اقاصى مصر والشام والمغرب والترك والكرد واليمن والهند وغيرها طلباً للعلم والاخذ عن علمائه وبه لكل طائفة ممتازة منزل يعرف بالرواق او جهة تعرف بالحارة بها خزائن من خشب يضع فيها الطلاب بعض مختصاتهم الخفيفة ويبلغ عدد ما به من الاروقة نحو ٢٢ رواقاً ومن الحارات ١٥ حارة ولكل رواق او حارة شيخ يرجع اليه فيما يختص بطائفته وللجامع رحبة سماوية واسعة جداً

تعرف بالصحن بها اربعة صهاريج وله ست منارات للأذان وسبع مزاول لمعرفة الوقت وثمانية ابواب بعد كل باب ذى فرجتين بابين ومازال ملوك مصر وامراؤها بعد الخليفة المعز يعتنون بالازهر ويجددون فى بنائه ويوقفون الارزاق على علمائه وطلابه الى وقتنا هذا ففي سنة ١١٩٠ الامير عبدالرحمن كتخدا زاد فى اتساعه طولاً وعرضاً قسماً عظيماً وهو القسم المرتفعة ارضه قليلاً من جهة الشرق ويشتمل هذا القسم على ٥٠ عموداً من الرخام تحمل مثلها من البواكى وانشأ به محراباً ومنبراً جديدين وفى جهته الجنوبية بنى مدفناً له ورواقاً للصعائده وكتّاباً باعلاه وباباً كبيراً ذا فرجتين واسعتين بجوار الرواق ومنارة بجانب الباب وبالجهة الغربية من الجامع جدد مدرسة الطيبرسية (١) ومدرسة الاقبغاوية (٢) وبين المدرستين ممشى ينتهى الى باب كالسابق وبنى فوق الباب كتّاباً وله منشآت بالجامع غير ذلك

وفى هذا العصر امر مولانا الخديو الافخم عزيز مصر عباس باشا حلمى الثانى الاكرم بشراء الاملاك التى تتاخم الجامع من جنوبه الغربى وادخالها فيه وبناء عمارة ضخمة فى موضعها تشتمل على رواق عظيم ومحل رفيع للمشيخة فاقيمت العمارة وشيد الرواق فجاء افخم وابدع رواق فى الازهر وسمى بالرواق العباسى وكذا امر حفظه الله بانشاء مكتبة نفيسة فى محل المدرسة الاقبغاوية وبتشكيل مجلس لادارة شؤون الازهر يتركب من رئيس وخمسة اعضاء الرئيس شيخ الجامع والاعضاء ثلاثة من افاضل علماء الازهر واثنان من العلماء الموظفين فى الحكومة ورئيس المجلس الآن سنة ١٣١٤ صاحب الفضيلة الشيخ حسونه النواوى واعضاؤه ارباب

الفضل والعرفان الشيخ محمد عبده القاضي بمحكمة الاستئناف الاهلية والشيخ عبد الكريم سلمان وكيل قلم الوقائع المصرية بديوان الداخلية والشيخ سليم البشرى شيخ المالكية والشيخ مصطفى عزّ الشافعى والشيخ يوسف النابلسي شيخ الحنابلة

ويبلغ عدد علماء ومدرسى الازهر الآن نحو ١٩٠ وعدد الطلبة به يتجاوز ثمانية آلاف وعليهم ضابطٌ عام يفصل فى وقائعهم كما يأمره شيخ الجامع والضابط الآن هو السيد احمد الجندى

والعلوم التى تدرس بالازهر هى تفسير القرآن والحديث والفقه واصوله وعلم الكلام (الالهيات) والمنطق والنحو والصرف والمعانى والبيان والبديع والعروض والقافية وغير ذلك

ولنرجع الى ما نحن بصدده الآن فنقول :

يدرسون فى الازهر من كتب النحو شرح الشيخ حسن الكفراوى على متن الاجرومية ثم حاشية ابى النجا على شرح الشيخ خالد ثم حاشية العطار على الازهرية ثم حاشية السجاعى على شرح القطر ثم شرح الشذور وحواشيه ثم حاشية السجاعى او الخضرى على شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك ثم حاشية الصبان على شرح الاشمونى على الالفية ثم المغنى وشروحه وحواشيه وذلك فى نحو ست سنوات وهذا كله بعد حفظ الطلاب متن الاجرومية ومنظومة الالفية وغيرهما وكيفية الدراسة ان يعين المدرس لطلبته جزءًا من اول الكتاب المراد قراءته يطالعه كل واحد منهم على انفراده او بالاشتراك مع غيره ثم يجيئون فى اليوم التالى ويجلسون بين يدى شيخهم بهيئة حلقة ويسمعون منه توضيح ما عينه لهم ويناقشونه

فيه هذا يسأل وهذا يعترض على المصنف وثالث يجيب عنه وهكذا وكل منهم يجتهد فى اظهار علمه فى مناقشاته وربما طالع لهذا الغرض حواشى غير المقرر قراءتها ولا يزال الطلبة فى اخذ ورد وتصويب وتخطئة الى ان ينتهى الدرس فى نحو ساعتين وربما لا يتم الجزء المعين فيعين لهم جزءًا آخر ويحصل فيه ما حصل فى سابقه وهكذا الى ان يفرغ الكتاب وهذه الطريقة تربى فيهم ملكة الجدل والبحث

دراسة النحو في المدارس

نتقدم اولاً بذكر نبذة من تاريخ المدارس فى مصر فنقول :

قبل استيلاء محمد على باشا رأس الاسرة الفخيمة الخديوية على مصر كانت المعارف فيها قاصرة على معرفة القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم بالكتاتيب التى انشأها سلاطين المماليك وامراؤهم وعلى التخرج من علوم الازهر السابقة فكانت هذه الكتاتيب بمنزلة مدارس ابتدائية والازهر بمنزلة مدارس ثانوية وعليا فلما استقام الامر للباشا بهذه الديار انشأ عدة مدارس ذات شأن كبير منها مدرسة للطب بابى زعبل ومدرسة للهندسة ببولاق ومدرسة للالسن ومدرسة للزراعة ببلد نبروه ومدرسة للصناعات وثلاث مدارس للفنون الحربية ثم اقتفى اثره فى ذلك من خلفه من امراء هذه الاسرة الخديوية وكذا حكوماتهم واشراف الامة فزادوا فى المدارس وشيدوا فى اركانها وفرضوا لها النفقات الى ان وصلت الى ما هى عليه فى وقتنا الحاضر من التقدم والنظام يدير شؤونها ديوان عال يرأسه وزير كبير من وزراء الحكومة وله وكيل من كبار الامراء

واعالمهم ومفتشون ماهرون وكتّاب امائل وهذا الديوان يسمى ديوان المعارف ويرأسه الآن (سنة ١٣١٤) صاحبا العطوفة والعرفان حسين باشا فخرى ويعقوب باشا ارتين ويتبع هذا الديوان نحو اربعين مدرسة ابتدائية تعلم فيها القراءة والكتابة والقرآن والنحو والحساب ومبادى الهندسة والخط ورسم الحروف ورسم الاشكال وصور الارض وتقويم البلدان والتاريخ والاخلاق واللغات الانكليزية والفرنساوية والتركية وذلك فى مدة اربع سنين . وثلاث مدارس تجهيزية تعلم فيها العلوم السابقة مع الاتساع فى مسائلها والزيادة فى فروعها ويزاد عليها المعانى والبيان والبديع والانشا والتاريخ الطبيعي والطبيعة والكيميا والهيئة وهذا فى مدة خمس سنين . ومدرسة للحقوق ومدرسة للهندسة ومدرسة للطب ومدرسة للصيدلة ومدرسة للولادة ومدرستان للصنائع احداهما ببولاق والاخرى بالمنصورة ومدرسة للزراعة بالجيزة وثلاث مدارس لتخريج معلمين اكفاء

وفى هذه المدارس الآن ما بين ثمانية آلاف وتسعة آلاف متعلم وفيها وفى الديوان ٤٤٣ موظفاً بين رئيس ووكيل ومفتشين وكتّاب ونظّار مدارس ومدرسين وضبّاط وينفق فى ذلك كله ما يتجاوز مائة الف جنيه مصرى . وايضاً توجد مدرسة لتخريج ضباط فى الجيش تابعة لديوان الحربية . وللاهالى والاجانب مدارس اخرى لا تقل عن مدارس الحكومة فى العدد . وهذه وتلك خلاف الكتاتيب المنتظمة وغيرها وهى كثيرة جداً يزيد عدد ما بها من المتعلمين هى والازهر وجوامع العلم الاخرى عما فى المدارس السابقة كلها

« عود الى ما نحن بصدده »

كان المقرر تدريسه فى النحو بالمدارس الابتدائية الاميرية هو كتاب الفصول الفكرية تأليف المرحوم عبد الله باشا فكرى من علماء وأمراء القرن الرابع عشر المتوفى سنة ١٣٠٧ وكتاب القواعد الاوّلية للشيخ محمد حسين من علماء الازهر وأساتذة المدارس — وللمدارس التجهيزية وما فوقها شرح ملحة الحريرى للشيخ حسين والى وشرح انموذج الزمخشرى للشيخ محمد عسكر وشرح الالفية للسيوطى وانوار الربيع فى النحو والصرف والمعانى والبيان والبديع للشيخ محمود العالم . وكان تعليم النحو فى هذه المدارس لا يأتى بالثمرة المطلوبة لأن هذه الكتب وان كانت صحيحة فى ذاتها الا انها ليست منسوقة فى تصنيفها على حسب اعمار الناشئة المتعلمين ولأن معلمى هذا العلم وان كانوا عارفين به لا يحسنون طريقة أدائه الى اذهان الاحداث ولا يراعون طاقاتهم فكان هؤلاء يهملونه بسبب ما يعترضهم من الصعوبات فى طريق تعلمهم . فلما اخذ بزمام المعارف صاحب السعادة والدراية يعقوب باشا ارتين سنة ١٨٨٤ للميلاد وشرع فى اصلاح شؤونها والسير بها فى طرق النجاح أمر كثيراً من ذوى الفضل بتصنيف مؤلفات جديدة فى علوم المدارس موافقة للناشئين وقد أمرنى أنا وحفنى بك ناصف ومحمد بك صالح القاضيين الآن بالمحاكم الاهلية والشيخ مصطفى طموم المدرس بالمدرسة الخديوية بتأليف ثلاثة كتب سهلة المأخذ فى النحو مدرجة على حسب اعمار تلامذة المدارس الابتدائية فألفنا هذه الكتب وقدمناها الى سعادته فعرضها على لجنة من افاضل العلماء فأثنوا عليها وحلت لديه محل القبول وأمر بطبعها فطبعت

بمطبعة بولاق وانتشرت بين ابناء المدارس وانتفعوا بها انتفاعاً زائداً وأخذت شهرة واسعة وأجازنا عليها بمائة ليرة مصرية ثم امرنا بعد ذلك بتصنيف كتاب رابع فى النحو أوسع من الثلاثة المتقدمة وكتاب خامس فى علوم البلاغة للمدارس التجهيزية فصنفناهما وطبعا وعمّ نفعهما وأجازنا عليهما بمائة اخرى وكان معنا فى الكتاب الرابع محمود افندى عمر بدلاً من محمد بك صالح وفى الكتاب الخامس محمد افندى سلطان استاذ اللغة العربية بمدرسة الحقوق بدلاً منهما

وليست طريقة تعليم النحو فى المدارس كطريقته فى الازهر فان المعلم فيها لا يحدد جزأ من الكتاب تطالعه التلامذة من قبل بل يعطى الدرس أوّلاً فى وقته المحدد له والتلامذة يفهمونه منه بدون كبير مناقشة يضيع معها الزمن سدى ويسألهم اسئلة تثبت ما اخذوه فى اذهانهم ثم يكلفهم بواجب علمى يؤدونه فى منازلهم تطبيقاً على الدرس الذى سمعوه وفى اليوم التالى يعيد سؤال البعض فى بعض مسائل الدرس السابق ثم يعطى درساً آخر وهكذا وفى خلال كل ثلاثة اشهر ما عدا اشهر المسامحة يختبرهم فيما حصلوه من العلم ويعطيهم درجات على حسب اجاباتهم فيه وقبل الاختبار يجتهدون فى مذاكرته رغبة فى الحصول على الدرجات العلى .

﴿ تم الباب الخامس — ويليه الباب السادس ﴾